أثر البناء المعماري العمودي على واقع الحياة الاجتماعية للأسرة والطفل
قراءة سوسيولوجية

د. سهى حمزاوي: أستاذ محاضر أ، جامعة عباس لغرور- خنشلة / الجزائر

ملخص:
يمثل السكن العمودي أحد أهم المظاهر الايكولوجية في المجتمعات، ويعود سبب وجود هذا النوع من السكن إلى الكثافة السكانية العالية في المدن. الأمر الذي تطلب اعتماد هذا النمط العمراني نظرا لشغله مساحة أصغر ومساكن أكثر من جهة، ولكون الحياة الحضرية الجديدة تتطلب نوعا من الأبنية المتطورة والحديثة كنموذج للحياة العصرية والتقدم في البناء من جهة ثانية.
وعلى الرغم من أن البناءات المعمارية الجديدة تعتبر حلا مرجعيا لأزمة السكن، إلا أنه ترتبت عنها مجموعة من الآثار التي انعكست على بيئة الأسرة والطفل معا، حيث أفرزت الحياة المعيشية في الشقق السكنية الضيقة مشكلات كثيرة بسبب اختلاط العائلات، واحتكاك الأطفال مع ببعضهم البعض (شجار،انحراف...) إضافة إلى أن السكن العمودي أصبح في بعض الأحيان غير آمن نتيجة السرقات والجنح.
وعليه يأتي هذا المقال للبحث عن العلاقة القائمة بين نوعية السكن المتمثلة في السكن العمودي ونمط الحياة الاجتماعية للأسرة من خلال الكشف عن واقع التفاعل الاجتماعي بين الأسر، علاقات الجيرة، التنشئة الاجتماعية للأطفال، إلى جانب العناصر المادية والتقنية للسكن.

Abstract :
Vertical housing represents one of the most important ecological aspects
in communities and the reason for the existence of this type of housing is due to the high population density in cities .which requires the adoption of this architectural style because it is smaller and more housing space by hand, and that urban life requires some kind of sophisticated and modern buildings as a model of modern life and the progress in the construction of the second hand buildings.

Although the vertical housing is a solution reference for the housing crisis it caused a set of effects that were reflected on the family and the child's environment, where living life in the narrow flats produced many problems due to the mingling of families ,and friction of children with each other (fight , deviation ……) add to that, the vertical housing sometimes become unsafe as a result of thefts and offences.

Accordingly, this article comes to look for the relationship between housing quality of vertical housing and the reality of social interaction between families by revealing the reality of social interaction between families, neighborly relations, socialization of children, besides physical and technical elements of housing.

مقدمة:

يسعى الإنسان جاهدا إلى تطويع البيئة لتلبية احتياجاته الأساسية، وتأتي في مقدمة هذه الاحتياجات إيجاد المأوى والسكن الملائم الذي يتلاءم مع طبيعة الإنسان، ويتناسق مع احتياجاته.

وقد تطور مفهوم السكن حتى غدا في وقتنا الحالي على أشكال مختلفة لا تقتصر في كونها ملاذا أو مأوى يلتجئ إليه فقط، ولكن باتت تحمل في ثناياها أكثر من ذلك، فقد أصبحت ذات مضمون يحمل في جدرانه وداخله شخصية وطبيعة وثقافة ساكنيه من أفراد.

وفي هذا الإطار قامت الجزائر بتوجيه جزء كبير من الاستثمارات المتخصصة للتنمية، وتبني مجموعة من السياسات السكنية، فلطالما مثل السكن رهانا من بين الرهانات العمرانية للبلاد باعتباره قطاعا مهيكلا بالنسبة للاقتصاد الوطني، وجزء لا يتجزأ من السياسة الاجتماعية العامة.

ولضمان حل للمشاكل العديدة التي تعاني منها البلاد، اجتهد القائمون على هذا القطاع، وقدموا عدة برامج وطرق إسكانية متنوعة ومتعددة في التعمير والإسكان، منها السكن الاجتماعي العمودي وهو سكن ترتفع فيه البنايات متوسعة بالاتجاه العمودي على سطح الأرض مكونة بذلك كتلا بنائية ذات طوابق تتخللها أدراج.

وعلى الرغم من أن السكن العمودي يعتبر حلا مرجعيا لأزمة السكن، إلا أنه ترتبت عنه مجموعة من الآثار التي انعكست على حياة الأسرة والطفل بالدرجة الأولى، إذ نجد بعض الأفراد من يلجأ إلى السكن العمودي باعتباره حلا مؤقتا لحين امتلاك بيت خاص أو قطعة أرض سكنية، لأن الشقق السكنية تتضمن مشكلات كثيرة بسبب اختلاط العائلات والمشكلات الناتجة عن الأطفال من خلال لعبهم الجماعي، إضافة إلى أن السكن العمودي أصبح في بعض الأحيان مركزا للجنوح والسرقات إلى جانب انعدام الخدمات.

إن الهدف من هذا المقال هو البحث عن العلاقة القائمة بين نوعية السكن المتمثلة في السكن العمودي ونمط الحياة الاجتماعية للأسرة والطفل. وعليه نصل إلى طرح السؤال الرئيس الآتي:

ما أثر نمط البناء العمراني العمودي على الحياة الاجتماعية للأسرة والطفل ؟

وللإجابة عن التساؤل المطروح سنقوم بمناقشة العناصر الآتية من خلال رؤية سوسيولوجية تحليلية:

أولا-مفاهيم أساسية:

يعد موضوع السكن العمودي من أهم المواضيع المطروحة على الساحة الاجتماعية كونه يمس شخصية المجتمع واتزان الفرد فيه من جميع النواحي الاجتماعية والثقافية والنفسية.

وتكمن أهمية الدراسة الراهنة في أنها تتناول موضوعا هاما يتعلق بإحدى استراتيجيات التنمية الحضرية والمتمثلة في سياسة السكن العمودي، ومدى تأثير هذه السياسة على الأسرة الجزائرية، وبالتحديد معرفة ظروف المعيشة المحيطة بالأسرة التي تقيم في هذا النوع من السكن.

وعليه سنعمد إلى تحديد مفهوم كل من:

1. السكن:

أ.لغة:

هو السكون أي ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في الاستيطان. فنقول نذهب الى سكن فلان أو مكان سكن فلان أي المكان الذي استوطنه فلان. (غيث،دت،80)

ويقصد بالمسكن لغويا المنزل أو البيت. ويعرف في موسوعة العمارة الإسلامية على أنه "عدة غرف متصلة ببعضها البعض تؤلف وحدة سكنية ضمن بناء كبير" (صالح محمود،2012،158)

ب. اصطلاحا:

هناك مفاهيم متنوعة للسكن تخطيطيا ومعماريا واجتماعيا وجغرافيا واقتصاديا يختلف فيها مفهوم السكن باختلاف التخصصات. فقد اعتبر السكن المحيط الذي تتوافر فيه شروط الحياة بصفة عامة وهو نوع من تجمع المؤسسات الإنسانية في المجال الحضري عن طريق نسيج عمراني يشكل الوظيفة الأساسية للمدينة.

ويعرف بأنه: "المكان الذي يعيش فيه الانسان بسلام وكرامة، ويعتبر حقا من حقوقه. ويمثل السكن للكثيرين مجالا للاستثمار ومصدرا للدخل، ويعتبر السكن من الحاجات الأساسية غير الغذائية للإنسان. وهو ضرورة حياتية ملحة وله دور كبير ومستمر في حياة الفرد وتكوين صحته وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية" (سلام،2012،3)

2. السكن العمودي:

مصطلح السكن العمودي أو ما يطلق عليه بالسكن متعدد الطوابق هو أحد الأنماط السكنية الذي يكون على هيئة عمارة سكنية تتضمن عددا من الشقق التي يعيش ضمنها عدد من الأسر في إطار وحدة سكنية كبيرة ... وهي غير قابلة للتوسع" (صالح محمود،2012،159)

كما يعرف بأنه "تجميع لعدة مساكن تبنى في عمارات ذات أربعة طوابق أو خمسة طوابق في الارتفاع وهي ذات شكل مربع أو مستطيل أو دائري. يستعمل السكان فضاءات هذه العمارات جماعيا" (تواتي،2015،298)

3. العمارة:

هي عبارة عن بنايات مصنوعة من الاسمنت المسلح مصطفة الواحدة تلو الأخرى وتكون على شكل طوابق تتخللها أدراج.

وتعرف العمارة بأنها "سكن جماعي يضم مجموعة مساكن تكون مركزا أوليا للحياة الجماعية، وهي تجمع مكثف تكون فيه البنيات ملتصقة ببعضها البعض" (سليماني،2011، 49-50)

4. الأسرة:

"الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، ومؤسسة من المؤسسات الاجتماعية ذات أهمية كبرى، ففيها نبدأ حياتنا الأولى ونتعود عليها، وهي تصنع أولى خبراتنا وفيها تتشكل شخصيتنا، وهي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك، ويلقى فيها الكبار والصغار مصدر الرخاء" (الجوهري،1997،27)

كما تعرف بأنها "تجمع اجتماعي قانوني لأفراد اتحدوا بروابط الزواج والقرابة أو بروابط التبني، وهم في الغالب يشاركون بعضهم البعض في منزل واحد ويتفاعلون تفاعلا متبادلا طبقا لأدوار اجتماعية محددة تحديدا دقيقا وتدعمها ثقافة عامة" (غنيم،2008،20)

ثانيا-السكن العمودي:

1. خصائص السكن العمودي:

- يتميز السكن العمودي بمجال ثابت في رقعة أرضية صغيرة المساحة على شكل طوابق متراكبة متفاوتة في الارتفاع وذات أحجام موحدة المقاييس.
- هي بنايات بسيطة خالية من النسيج المعقد الذي يحتوي على تشابك تفاصيل البناء مثل القصور والكنائس ذات الأشكال الهندسية المعقدة.
- يتميز البناء العمودي الحديث بخاصية الوظيفة في الهندسة المعمارية بحيث تخصص غرف لوظائف معينة مثل إعداد الطعام، استهلاك الواجبات، النوم، الاستقبال وغيرها. (الموسوي،2006،174)

2. إيجابيات وسلبيات السكن العمودي:

للسكن العمودي جملة من الإيجابيات والسلبيات باعتباره حل مناسب لمن يبحث عن سكن يأويه وعائلته ويستقر فيه. لكنه يمثل مشكلة للعديد من أفراد المجتمع إذا ما نظرنا إليه من جانب عادات وتقاليد المجتمع وتشريعاته الدينية تجاه الظاهرة حيث نجد أن بعض الأفراد لا يرغبون في العيش في السكنات العمودية نظرا لانعدام الاستقلالية والخصوصية في هذا النوع من السكن. (صالح محمود،2012،157)

ومع هذا يتوفر هذا النموذج من العمران على العموم على تقنيات عالية في مجالات الإنشاءات والتجهيزات العصرية المختلفة (الكهرباء، الماء، الغاز)، ويتيح فرصة استثمار الأراضي بأسلوب عقلاني دقيق من حيث الاقتصاد في تكاليف العقار واستقطاب كثافة سكانية عالية. وعلى الرغم من الفائدة الاقتصادية للسكن العمودي من حيث التخطيط الجيد وامتصاص النمو السكاني إلا أنه أنتج مجموعة من السلبيات نذكر أهمها في:

- **الكثافة السكانية العالية:**

تشكل الكثافة درجة ازدحام عالية داخل العمارة وفي كل مسكن بكل طابق نتيجة اكتظاظ السكان في مساحات ضيقة بالعمارة، حيث أن كل أسرة يكون عدد أفرادها كبيرا تضطر للعيش في مساحة ضيقة، ولهذا الأمر أثر سلبي على نفسية الأفراد بتعرضهم لأزمات ومشاكل عديدة.

- **تلوث الهواء:**

أثبتت الدراسات والأبحاث التي تناولت المباني العالية أن تلاصق الطوابق وتقارب العمارات من بعضها البعض وقربها من الطرق المكتظ بالسيارات يؤدي إلى تلوث الهواء بسبب ركوده وعدم تجدده واحتباسه بين الطوابق وبين الجدران.

- **التلوث السمعي:**

يشكو معظم قاطني العمارات من الضجيج الناتج عن استعمال الوسائل الكهربائية المستعملة في المساكن وكذلك ضجيج الأطفال وعدم احترام راحة الجيران من طرف البعض.

- **التلوث البصري:**

أسهم هذا النمط العمراني في ظهور ظاهرة التلوث البصري بسبب استعمال مواد البناء مثل الزجاج والألمنيوم مما يؤدي إلى اختلال الصورة التحتية المسقطة من البيئة الخارجية على العقل الإنساني فتظهر أنها صورة مشوشة وخادعة وبعيدة تماما عن الطبيعة الخضراء. (لبرارة،2008،41)

3. مدى تجاوب السكنات العمودية مع طبيعة حياة الأسرة والطفل:

يعتبر السكن من أهم ضروريات الحياة للفرد، لهذا تقوم الأسرة باختيار مسكن يكون منسجما مع طريقة حياتها وأسلوب تفكيرها، لكن كثيرا ما نجد مساكن تعبر عن عدم تجاوب المبنى مع حياة الأسرة. ومن بينها حياة الأطفال الذين لا يجدون مجالات كافية للدراسة واللعب فيحصل لديهم خلل في النمو الطبيعي السليم.

ونظرا لضيق المسكن وعدم اتساع غرفه للوظائف الضرورية أصبحت الأسرة تواجه مشكلة في كيفية استخدامه، ويتضح هذا الأمر عندما نجد أن مجالا معينا يستعمل لعدة وظائف كالمطبخ الذي يستعمل للدراسة والاستحمام والتقاء أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، بالإضافة إلى غرفة الاستقبال التي تستعمل للأكل والدراسة والنوم. (لبرارة،2008،66)

إن الوضع السابق يعبر عن واقع البناءات العمودية في بلادنا، وهذا الأمر هو نتيجة خطأ المشاريع والمخططات التي لا تراعي حقيقة حجم الأسرة الجزائرية وتنوع حاجياتها وخصوصياتها، لهذا يضطر السكان إلى إدخال تغييرات على المساكن التي يستعملونها. وبهذا الصدد كشفت العديد من الدراسات أن الساكنين بهذا النمط العمراني يلجؤون إلى تغيير مجالاتهم الداخلية استجابة لمتطلبات العائلة وحاجاتها المتنوعة واستيعابا لأفرادها رغم صعوبة التغيير المادي وقساوة النظام الانشائي ...وبهذا تحول بعض المجالات أو جزء منها لاستيعاب نشاطات أخرى بدل التي صممت لأجلها. (الديب،2009،437)

مما سبق نصل إلى أن المخطط المغلق والمعقد الذي يهدف الى اقتصاد المساحات أدى إلى تغيير وظيفة الفضاء المدروس فبدلا أن يتجاوب بشكل إيجابي مع حياة الأسرة والطفل حدث العكس حيث عملت المساحات الممنوحة على خنق النمو الطبيعي للطفل.

ثالثا- السكن العمودي والحياة الاجتماعية للأسرة:

1. التفاعل والعلاقات الاجتماعية للأسرة:

إن فقدان العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة والمجتمع يمكن أن يعبر عنه بضعف العلاقات بين سكان المدينة بشكل عام وبين الجيران بشكل خاص. وهذا هو المشهد الأبرز الذي يمكن أن يلمسه كل راصد للظواهر الاجتماعية في أي مجتمع مدني، وهذه ما تنبه له ابن خلدون قبل ستة قرون حيث أشار إلى أن المدن تطبع سكانها

بطابع خاص، وتؤثر في ثقافتهم ونشاطاتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، كما أنها تتطور بسرعة من حيث الاتساع المكاني، وازدياد معدلات نمو السكان، ومظاهر العمران المختلفة، وهذا التطور من شأنه أن يُحدث تطوراً مشابهاً في العلاقات والنظم الاجتماعية المميزة لسكان المدن، أما المناطق البدوية فهي تتطور في رأيه ببطء شديد. وتتسم الظواهر الاجتماعية السائدة فيها بطابع الثبات والاستقرار النسبيين. (السدحان،2010، 116-117)

وقد أثبتت الدراسات الأكاديمية أن نسبة العلاقات الاجتماعية بين السكان لا تزيد بكثرة عددهم، وإنما تعتمد على الزيادة في نسبة تقابلهم. فسكان المباني العالية يجدون صعوبة في خلق علاقات مع الجيران أو يكونون علاقاتهم ذات عمر قصير، وتنمو هذه العلاقات عند التقابل في المناطق المشتركة مثل المصاعد والمداخل، وقد دلت الدراسات على أن جيرة المداخل الخارجية في المساكن المنفردة الأفقية تزيد من فرص التعارف أكثر من جيرة المداخل الداخلية بالمباني العالية.

لقد أدت المباني العالية إلى قلة العلاقة بين الأفراد داخل البيوت وخارجها كما أدت إلى عدم تجاوب السكان مع الخارج، وقللت من فرص تقابل الناس مع بعضه وتعاملهم على مستوى الشارع والحي. وعدم انتماء الناس إلى بعضهم وعدم تعاملهم على مستوى الحي، مما أدى إلى ظهور قيم جديدة. (محمد حسن،2002)

كما أن هناك سبباً آخر لفقدان العلاقات الاجتماعية بين الناس إثر التوسع في المدن، وهو عدم الاحتياج إلى بعضهم البعض، ففي السابق كانت الأدوات والمستلزمات قليلة على مستوى الحي الواحد مما يوجد حاجة للتواصل للاستفادة من حاجيات الآخرين، كما أن عدم الاستقرار في المنزل من قبل الكثير من الساكنين بسبب صعوبة التملك أوجد مثل هذا الضعف في التواصل بين السكان بشكل عام، فالمستأجر يشعر أن وجوده في المنطقة مؤقت لذا قد لا يرى ضرورة لتكوين علاقات مع الجيران نظرا لعدم استقراره. (السدحان،2010،121)

2. علاقات الجيرة:

إن تبني نمط الإسكان العمودي الذي يتسم بوجود مدخل مشترك واحد بمقاييس هندسية محددة تجعل الساكن مقيدا، كما أن ضيق السكن تجعل الأسرة عاجزة عن استقبال الضيوف والأصدقاء إلا في أوقات محددة. إضافة إلى أن عدد الجيران أصبح محدودا.

وقد انجزت السكنات العمودية الجماعية بغرض استيعاب أكبر عدد ممكن من الوحدات السكنية لهذا نجد أن كل أسرة استقلت بمسكنها الخاص، فزادت الفردية وضعفت علاقات القرابة والتفاعل، وانتفى التعاون وظهر الجوار في مواقف محدودة وسطحية. (عسلي،2010،117)

لقد اختزل المسكن الحديث بالعمران الرأسي إلى حد كبير مجموعة من قيم ومعاني الجيرة والقرابة، فتعقيدات هندسة هذا الإنشاء لا تسمح بتحقيق التكامل في إطار فيزيائي يحمل معاني التكامل الاجتماعي. وهذا بسبب تهميش مفهومي القرابة والجيرة الذين يعبران عن معنى التماسك الاجتماعي والاستمرارية في نقل تراث المجتمع الحضاري. وهما بذلك يشكلان إحدى أهم دعائم قيام مجمع توحده شبكة من العلاقات التي تدعم روابط التلاحم والتفاعل والتماسك بين الأفراد والأسر والجماعات. (تواتي،2015،303)

3. ظهور الجريمة نظرا لغياب البيئة الآمنة:

يمثل الأمن قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر، ويعد المسكن والبيئة المحيطة به المستوى الأول الذي يجب أن يوفر للفرد الأمن والسلامة. ونظرا لاتساع الأحياء السكنية المعاصرة وزيادة كثافتها السكانية ظهر تدني واضح في مستوى السلامة ونقص الأمان إضافة إلى ضعف العلاقات ونقص التكافل الاجتماعي مما أدى إلى ظهور العديد من مظاهر الانحراف والجريمة التي أثرت سلبا على السكان.

وقد أثبتت الدراسات أن مشاريع الإسكان الضخمة التي تحتوي على عمارات عالية تشجع على ارتكاب الجرائم، لأنها تقوى الشعور لدى الأفراد بالغربة والعزلة وعدم المسئولية. وفي هذا النمط العمراني يمثل الشكل العمراني إحدى العوامل التي تتيح الفرصة لوقوع الجريمة أو منعها من خلال مجموعة من العناصر كالمظهر العمراني للمبنى، أشكال وأبعاد وتوجيه الفتحات باتجاه الفضاءات المجاورة، ارتفاع المبنى. حيث يمكن للسارق ان يستفيد من هذه العناصر ويستخدمها كأماكن اختباء دون وجود مراقبة. فالمباني ذات الارتفاع العالي تتعرض لعدد كبير من الجرائم كالاقتحام والسرقات نتيجة ضعف المراقبة. (العلوان،2011،69)

ثالثا- السكن العمودي والحياة الاجتماعية للطفل:

1. ضيق المجال بالسكن العمودي وأثره على ظروف المعيشة المحيطة بالطفل:

يمكن تحديد أهم مظاهر العيش بالسكنات العمودية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية للطفل في مايلي:

أ. عدم استغلال المجالات بطابعها الأمثل:

إن أغلب الأسر لا تستغل المجالات استغلالا أمثلا نتيجة ضيق الغرفّ بها مما يؤدي إلى تقسيمها أو تغييرها مثل استعمال المطبخ كحمام، وتحويل الشرفات إلى مخزن وتقسيم الغرف في ذاتها إلى قسمين. وهذا كله يخلق نوعا من الفوضى مما يعيق من التصرف بحرية من قبل أفراد الأسرة بما فيهم الأطفال.

إن لجوء الأسر في البناءات المعمارية العمودية إلى تغيير الفضاءات والمجالات رغم استيفائه للشروط التقنية هو نتيجة لحجم وعدد غرف هذا النمط العمراني الذي لا يسمح باستيعاب كل أفراد الأسرة واستقبال الضيوف، وهذا دليل على ضعف الخدمات التي تقدمها السكنات العمودية من حيث التنوع الفراغي. (تواتي،2015،302)

ب. مكان لعب الأطفال:

إن لعب الأطفال داخل الوحدة السكنية يشكل خطرا نظرا لاحتمال سقوطهم من أماكن مرتفعة، كما أن لعب الأطفال في الشارع لعدم وجود حدائق عامة وساحات لعب أمام العمارات يجعلهم بعيدين عن أنظار ومتابعة الوالدين أولا وعرضه لمخاطر السيارات ثانيا، ناهيك عن كونهم مصدرا لإزعاج الساكنين.
(حمزاوي،2014،58)

ج. السكن العمودي وفقدان الخصوصية بين الأبناء (ذكور وإناث):

إن هذا النوع من السكن يؤدي إلى فقدان الخصوصية بين الأبناء (ذكور وإناث)، ففي الأسر التي تتكون من أطفال من الجنسين (ذكور وبنات) يتطلب الأمر تحديد غرفا خاصة لكل منهما وهو شبه مستحيل نتيجة محدودية عدد الغرف (3 أو 4 غرف على الأكثر)

ه. السكن العمودي والوضعية الصحية للأطفال:

تؤثر المعيشة في السكنات العمودية على صحة ساكنيها خاصة الأطفال، فقلة التعرض لأشعة الشمس من شأنه أن يخلف بعض الأمراض نتيجة الرطوبة والبرودة وقلة التهوية، مما يخلف أمراض مزمنة كالربو والحساسية لدى الأطفال. ناهيك عن المعاناة نتيجة الروائح الناتجة عن الأوساخ المنتشرة حول العمارة. إضافة إلى أنه في كثير من الأحيان يتخوف الوالدين من سقوط أولادهم من الأماكن العالية في العمارة. (حمزاوي،2014،58)

2. السكن العمودي والعزلة النفسية والاجتماعية للطفل:

من أبرز آثار السكن في المباني المرتفعة مشكلة انعزال الإنسان عن المجتمع في طبقات الجو. بيد أن هذا الإحساس يولد مع الطفل الذي يعيش في الأدوار العلوية من المبنى، حيث لا يستطيع أن يمارس حياته واكتساب الخبرة في التعامل مع الآخرين والاحتكاك بهم، وكذلك الإحساس بجمال الطبيعة، ومن هنا يتولد الإحساس بتباعد الإنسان عن الطبيعة وعن الآخرين خلال نموه غير السوي، وخصوصاً مع مخاوف الأهل على الطفل من الاقتراب من النوافذ والأبواب خوفاً عليه من السقوط أو الخطر، وبالتالي يتولد مع الإنسان الإحساس إما بالانطواء، وإما بالميول العدوانية تجاه الآخرين. ففي حالة المباني السكنية المنفردة فإن الطفل يستطيع أن يلعب بحرية في الحديقة تحت إشراف أهله وتكون له علاقات مع أطفال العائلات المجاورة حيث يستطيع أن يلعب ويحدث ما يشاء من الضوضاء دون إزعاج الآخرين. أما في حالة المباني العالية فإن سكانها يقرون بأنهم يضطرون إلى كبح جماح أطفالهم وتحديد لعبهم في الوحدات السكنية وبهدوء لتجنب الضوضاء والمضايقات التي قد يسببونها للجيران، فلا يستطيع الأطفال اللعب إلا في المداخل والممرات وهذه الأماكن غير ملائمة وخطيرة تؤدي إلى إمكانية سقوط الأطفال منها. (محمد حسن،2002)

إضافة إلى ما سبق نجد أن المباني الشاهقة ذوات الأدوار المتعددة لا يمكن أن توفر الفراغات المكانية لممارسة الترويح خاصة عند الأطفال مما يكون ويعزز لديهم الروح الانفرادية. ناهيك عن خلق العزلة الاجتماعية مما يضعف من الروح الجماعية لدى الطفل، ويقلل من اكتسابه لروح المبادرات الجماعية التي يخدم بها المجتمع.

3. الفراغ السكني واستيعاب الأطفال وإمكانية اندماجهم في المجتمع:

يختلف الوضع الراهن للطفل العربي من بلد لآخر حسب الظروف الاجتماعية المحيطة به، ولكن هنالك قاسم مشترك هو القيم العامة السائدة في المنطقة العربية. فالحي السكني الأمثل هو أفضل وسيلة للنهوض بالطفل.

فالأطفال يحتاجون في المراحل الأولى من حياتهم إلى بيئة عمرانية تساعدهم على التعلم من خلال اللعب الذي يعد عاملا ضروريا لبناء مداركهم واكتمال نموهم الفكري. ولكن وضع البيئة العمرانية الذي لا يحترم احتياجات الطفل، والتهالك الأخلاقي لفئات مختلفة من المجتمع في العديد من البلدان جعل الكثير من الوالدين يحجمون عن السماح لأطفالهم بالخروج والاستمتاع والتعلم من بيئة الشارع.

ويقع الكثير من الوالدين في معضلة الرغبة في إعطاء أطفالهم الفرصة للتعلم والاحتكاك من خلال الخروج لبيئة الحي والاحتكاك مع الآخرين، والخوف عليهم من أصدقاء السوء والسيارات المسرعة.

وتكون المشكلة أكثر تعقيدًا للعائلات التي تقطن مباني الشقق السكنية، حتى إن العديد من الدراسات خصصت لهذا الجانب. وذلك لأن الشقق مقارنة بالوحدات السكنية المستقلة لا يوجد بها أماكن مفتوحة كحديقة صغيرة أو تعطي الفرصة للأطفال للعب والتمتع بجو صحي. فقضاء الطفل معظم وقته في مبنى خرساني دون قدرته على النزول للشارع، واللعب مع الأطفال الآخرين سيكون سببًا لحياة حزينة، وهو الأمر الذي أكدته دراسة ترجمة عنوانها: (العائلات في مباني الشقق: قصص حزينة للأطفال1983) لأنه في حالة تدهور بيئة الشارع وعدم إمكانية خروج الطفل لهذا الفضاء تصبح الشقة السكنية سجنًا للطفل، وتؤثر كثيرًا على تطوره ورسم مستقبله. (السكيت،2003، 35-36)

وقد حاول المخططون التعامل مع هذه القضية منذ فترة طويلة. وقد كانت حلولهم ذات صبغة عمرانية في شكل توفير أماكن ضمن الحي للعب الأطفال تحت إشراف بالغ وبعيدين عن حركة السيارات.

إن حاجة الإنسان بصفة عامة والطفل بصفة خاصة إلى غذاء الروح، وغذاء العقل، وغذاء البدن، وغذاء العلاقات الاجتماعية يمكن تحقيقها من خلال التخطيط والتطوير الملائم للحي السكني. وقد يكون تطوير الحي السكني بطريقة تلائم احتياج الطفل هو خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح نحو تغيير المجتمع بأكمله نحو الأفضل.

خلاصة:

بعد طرح القضايا السابقة من منظور سوسيولوجي تحليلي نصل إلى أن البناء العمراني العمودي يعبر عن بيئة مصممة من قبل تقنيين وخبراء معماريين لتتماشى مع تطور الحياة وتعقد أبنيتها ومكوناتها.

إلا أن تأثير ها النمط العمراني بدا واضحا حيث انعكس على الحياة الاجتماعية للأسرة والطفل معا.

وقد توصلت الدراسة إلى أن الأسر القاطنة بالسكنات الجماعية العمودية تجد صعوبة في التكيف مع الوضع المفروض عليها، حيث أدى إلى ضعف العلاقات الاجتماعية وتقويض علاقات الجيرة فضلا عن ظهور صعوبات معتبرة في ما يخص كل من التنشئة الاجتماعية والصحية للأطفال تتجسد في عدم استغلال المجالات بطابعها الأمثل، غياب مساحات خضراء للعب، استفحال الجريمة، الخصوصية العالية للأسر، الانطواء والعزلة النفسية وغيرها.

إن السكن جزء من تاريخ الأسرة الاجتماعي والثقافي، تتشكل فيه قيمها وشخصيتها ومقوماتها وعاداتها وتقاليدها، كما يعبر عن هويتها العمرانية وبيئتها الثقافية وتراثها الحضاري. فالسكن الحقيقي هو ذلك السكن الي يحافظ على كل أنواع العلاقات الاجتماعية والنظم الأخلاقية مع أخذ بعين الاعتبار الجوانب التقنية الحديثة التي تلبي أهم الحاجات المتطورة للأسرة والتي يفرضها التطور التقني والتكنولوجي.

قائمة المراجع

الكتب

1. السيد رشاد غنيم وآخرون: سوسيولوجيا الأسرة –دراسات نظرية تطبيقية- مطبعة البحيرة، ط2، الإسكندرية، مصر، 2008.
2. عبد الله بن ناصر السدحان: الآثار الاجتماعية للتوسع العمراني (المدينة الخليجية نموذجا)، سلسلة كتاب الأمة العدد 136، مركز البحوث والدراسات، ط1، 2010.
3. عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 1997.
4. سليماني جميلة: دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي، دار هومة، الجزائر، 2011.
5. هاشم عبود الموسوي: التخطيط والتصميم الحضري، دار حامد، الأردن، ط1، 2006.

المعاجم والقواميس:

6. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، دت.

المجلات:.

7. بلقاسم الديب: البيئة العمرانية الحديثة والمرض الاجتماعي في المدينة بالجزائر، مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد الأول والثاني، دمشق، سوريا، 2009.
8. خالد بن سكيت السكيت: دور الحي السكني في بناء المجتمع بجميع فئاته: تفعيل روح المشاركة والانتماء للأطفال، مجلة الهندسة المعمارية والتخطيط، العدد 15، الرياض، السعودية، 2003.
9. عبد الرزاق صالح محمود: واقع السكن العمودي في مدينة الموصل، دراسات موصلية، العدد38، مركز دراسات الموصل، العراق، 2012.
10. نوبي محمد حسن: التصميم الاجتماعي للمجمعات السكنية العالية، بحث منشور في مجلة العلوم الهندسية، كلية الهندسة، المجلد 30، العدد3، جامعة أسيوط، مصر، يوليو 2002.

    أنظر: موقع مقاطعة: http://mqataa.com/vb/showthread.php?t=33845
11. هدى العلوان، ميس الدليمي: محددات البيئة الامنة للمجمعات السكنية عالية الكثافة لمراكز المدن، مجلة الهندسة، العدد 3، المجلد 17،العراق،2011.

الملتقيات الدولية:

12. تواتي طارق، التونسي فايزة: تمثلات علاقات الجيرة داخل البناءات المعمارية العمودية بالمدن الصحراوية بين التقليد والحداثة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي لتحولات المدينة الصحراوية، جامعة ورقلة، الجزائر، 2015
13. سهى حمزاوي: أثر السكن العمودي على التنشئة الاجتماعية للطفل، بحث مقدم للملتقى الدولي حول المدينة والطفل، السجل العلمي للملتقى الدولي، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، جامعة باتنة، الجزائر، 2014.

14. عبد الرزاق سلام، نذير بوسهوة: آفاق التنمية الإسكانية المستدامة في الدول العربية، بحث مقدم للملتقى الدولي حول أزمة قطاع السكن في الدول العربية، واقع وآفاق، جامعة المدية، الجزائر، 2012.

مذكرات الماجستير:

15. عسلي سعد: علاقات الجيرة في المدينة، دراسة مقارنة بين الأحياء العتيقة والأحياء الجماعية (حارة أولاد عتيق حي القصر وحي 110 سكن جماعي)، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2010/2009.

16. هالة لبرارة: الأسرة والمسكن بالمدينة الصحراوية، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، الجزائر، 2008/2007.